ثورة الشيخ عز الدين القسّام

عادل حسن غنيم

كانت قيادة الحركة الوطنية في فلسطين طوال العشرينات تعتقد أن الصهيونية وليس الإستعمار هي العدو الاول الذي ينبغي على الشعب العربي في فلسطين مواجهته ، وانه ينبغي التخلص منها اولا حتى يمكن التفاهم مع الانتداب ، وظلت قيادة الحركة الوطنية في فلسطين طوال تلك السنوات تأمل خيرا في بريطانيا ، وتتوقع منها في نهاية الامر ان تستجيب لمطالب البلاد وتتخلى عن سياستها التهويدية ، غير مدركة لحقيقة العلاقة التي تربط الاستعمار بالصهيونية .

وتحدث تغييرات هامة خلال سنوات النصف الاول من الثلاثينات ، لكن تلك التغييرات لم تكن تغيرات في الاهداف السياسية للحركة الوطنية ، بل كانت تغيرات في أساليب الحركة الوطنية ووسائلها ، فمع تدفق اعداد المهاجرين الصهيونيين الى فلسطين في تلك السنوات ، ومع زيادة امتلاك الصهيونية للاراضي الزراعية ، ومع ازدياد نضج عرب فلسطين سياسيا وادراكهم لحقيقة الاستعمار وفهمهم لمناوراته واساليبه ، تنبعث الدعوة قوية الى اتباع سياسة اخرى غير سياسة الاحتجاجات والوسائل السلمية ، متمثلة محاولات للحفاظ على الارض العربية وبناء اقتصاديات البلاد ، ويساهم الشباب بدور واضح في ميدان الحركة الوطنية ، وتنظم الدوريات لمراقبة الشواطىء منعا للهجرة غير القانونية ، وترتفع رايات الكفاح المسلح ضد الاستعمار البريطاني ، وتتشكل في تلك الفترة جماعات سرية نضالية آمنت بالكفاح المسلح طريقا لمكافحة الاستعمار والصهيونية ، وكان اهم تلك الجماعات جماعة الشيخ عزالدين القسام رائد الكفاح المسلح في فلسطين في وجه بريطانيا .

والشيخ عز الدين القسام سوري الاصل ، ولد في بلدة جبلة التابعة لقضاء اللاذقية عام ١٨٧١ ، ونشأ في بيت من بيوت العلم والادب ، وبعد أن درس العلوم الابتدائية ارسله والده الى الازهر الشريف حيث تلقى عن الامام الشيخ محمد عبده ، ثم عاد الى بلده بعد سنوات عديدة ، وعكف على التدريس في جامع السلطان ابراهيم بن ادهم ، ولم يكتف بنشر العلم بل شارك في حركة الجهاد ، فانضم الى عصبة عمر البيطار ، ثم اشترك مع صالح العلي في ثورته ضد الفرنسيين في شمال سوريا (١٩٢٠ — ١٩٢١) ، وارسلت اليه السلطة العسكرية رسولا يعد بتوليته القضاء وبذل العطاء له ، فرد الرسول خائبا وحكم عليه الديوان العرفي في اللاذقية بالاعدام . ثم التجأ الى حيفا في الخامس من شهر فبراير ١٩٢٢ واستوطن فيها وتولى التدريس في جامع النصر (ذكرت مصادر قليلة انه كان ايضا خطيبا لجامع الاستقلال في حيفا) . كما اسس مدرسة ليلية لتعليم الاميين من العرب(١). وكانت حيفا عندما هبط بها الشيخ القسام سريعة النمو في عمرانها ، فهي مرفأ فلسطين الاول واقرب مدنها الى لبنان ودمشق ، وهي بلدة متعددة الاقوام والجنسيات ، وهي قاعدة من قواعد التهويد مما